

جامعة كويت كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم / التربية الفنية

المرحلة / ماجستير

اسم المادة / التربية الجمالية

اسم المحاضرة / فلسفة التجريبية والذوق الجمالي عند ديفيد هيوم

اعداد / أ.م.د أسامة عدنان الجبوري

فلسفة التجريبية والذوق الجمالي عند ديفيد هيوم

المقدمة

تُعدّ فلسفة ديفيد هيوم واحدة من أهم المحطات في تاريخ الفكر الفلسفي الحديث، ولاسيما في ميدان علم الجمال (Aesthetics)، حيث قدّم تصوّرًا مغايرًا لما كان سائدًا في الفلسفات الكلاسيكية التي ربطت الجمال بالموضوع أو بالملق. فقد انطلق هيوم من خلفيته التجريبية ليعيد تعريف الجمال بوصفه تجربة شعورية ذاتية، ترتبط بالإحساس أكثر من ارتباطها بالعقل أو بالخصائص الموضوعية للأشياء. ومن هنا، فإن دراسة فلسفة هيوم في الجمال تفتح أفقًا لفهم التحول من الموضوعية الجمالية إلى الذاتية التجريبية، مع محاولة دقيقة لتأسيس نوع من المعيارية داخل هذا الإطار الذاتي.

أولاً: الأساس التجريبي في فلسفة هيوم

ينتمي هيوم إلى تيار التجريبية الذي يضم أيضًا جون لوك وجورج بركلي، حيث يقوم هذا التيار على مبدأ أساسي مفاده:

أن المعرفة الإنسانية لا تأتي من العقل الخالص، بل من التجربة الحسية

١. التمييز بين الانطباعات والأفكار

يقسّم هيوم الإدراك إلى نوعين:

• الانطباعات (Impressions):

وهي الإدراكات الحسية المباشرة، القوية، مثل الإحساس بالألوان أو الأصوات أو الانفعالات.

• الأفكار (Ideas):

وهي صور باهتة للانطباعات، تظهر في الذاكرة أو الخيال.

٢. النتيجة الفلسفية

بناءً على هذا التقسيم:

- لا وجود لأفكار فطرية
 - كل معرفة تعود في أصلها إلى الإحساس
- وهذا المبدأ سيكون أساس فهمه للجمال.

ثانياً: الجمال بوصفه إحساساً ذاتياً

ينطلق هيوم من مبدأ تجريبي ليقرر:

“الجمال ليس صفة في الأشياء، بل هو في الذهن الذي يتأملها”

تحليل هذا القول:

١. الجمال ليس خاصية موضوعية مثل الوزن أو الشكل

٢. لا يمكن قياسه بمعايير ثابتة في الشيء ذاته

٣. يرتبط بالانطباع الذي يحدثه الشيء في النفس

النتيجة:

• الجمال ذاتي (Subjective)

• يختلف من شخص لآخر

• يعتمد على الإحساس والانفعال

ثالثاً: الذوق الجمالي عند هيوم

طرح هيوم مفهوم الذوق بشكل منهجي في مقاله:

“عن معيار الذوق” (Of the Standard of Taste)

١. تعريف الذوق

الذوق هو:

القدرة على الإحساس بالجمال أو القبح استجابةً لانطباعات حسية

٢. خصائص الذوق

• انفعالي: مرتبط باللذة والألم

• ذاتي: يختلف بين الأفراد

• تجريبي: يتكوّن من خلال الخبرة

• قابل للتطور: ليس ثابتاً

رابعاً: إشكالية النسبية الجمالية

إذا كان الجمال ذاتياً، تبرز إشكالية فلسفية مهمة:

كيف نفسر:

• اتفاق الناس على جمال بعض الأعمال؟

• تفوق أعمال فنية معينة عبر التاريخ؟

الإشكال:

هل الجمال:

• نسبي بالكامل؟

• أم توجد معايير مشتركة؟

خامسًا: معيار الذوق عند ديفيد هيوم

رغم تأكيده على ذاتية الجمال، لم يقبل هيوم بالنسبية المطلقة، بل حاول تأسيس معيار للذوق.

شروط الذوق السليم:

١. سلامة الحواس

القدرة على الإدراك الدقيق

٢. الممارسة والخبرة

التعرض المستمر للأعمال الفنية

٣. المقارنة

التمييز بين الأعمال المختلفة

٤. التحرر من التحيز

الابتعاد عن الأحكام المسبقة

٥. الدقة (Refinement)

حساسية عالية للتفاصيل

النتيجة الفلسفية:

ليس كل حكم جمالي متساويًا في القيمة، بل هناك "ذوق رفيع" يمتلكه من توفرت فيه هذه الشروط

سادسًا: التوفيق بين الذاتية والمعيارية

يمثل هذا الجانب جوهر فلسفة هيوم الجمالية:

١. الذاتية

• الجمال إحساس فردي

• لا يوجد خارج التجربة

٢. المعيارية النسبية

• يمكن تمييز الأحكام الأفضل

• اعتمادًا على خبرة المتلقي

التفسير:

هيوم لا ينفي الذاتية، لكنه:

• ينظّمها

• ويمنحها إطارًا نقديًا

سابعًا: البعد النفسي في فلسفة الجمال عند هيوم

يربط هيوم الجمال بـ:

• اللذة (Pleasure)

• الانفعال (Emotion)

• الاستجابة الشعورية

الجمال = ما يثير اللذة في النفس

وهذا يعني:

• الحكم الجمالي ليس عقلائيًا خالصًا

• بل هو تجربة وجدانية

ثامناً: البعد النقدي والجمالي

فتح هيوم المجال لظهور:

• الناقد الفني

• الحكم الجمالي المتخصص

حيث يصبح:

• النقد قائماً على الخبرة

• وليس مجرد رأي شخصي

تاسعاً: مقارنة فلسفية ضمنية

١. مع أفلاطون

• الجمال عند أفلاطون: مطلق ومثالي

• عند هيوم: ذاتي وتجريبي

٢. مع أرسطو

• الجمال قائم على النظام والانسجام

• عند هيوم: قائم على الإحساس

٣. تمهيد لـ إيمانويل كانط

• هيوم: ذاتية منظمة

• كانط: ذاتية ذات طابع كوني

عاشراً: القيمة الفلسفية لفكر هيوم

تكمن أهمية فلسفة هيوم في:

١. نقل الجمال من الموضوع إلى الذات

٢. تأسيس علم جمال قائم على التجربة

٣. التمهيد للفلسفات الحديثة في التلقي

٤. الربط بين الجمال وعلم النفس

الخاتمة

تعدّ فلسفة ديفيد هيوم في التجريبية والذوق الجمالي تحوُّلاً نوعياً في تاريخ الفكر الجمالي، إذ أعادت تعريف الجمال بوصفه تجربة إنسانية قائمة على الإحساس والانفعال، بدلاً من كونه خاصة موضوعية في الأشياء. ومع ذلك، لم يقع هيوم في فخ النسبية المطلقة، بل سعى إلى تأسيس معيار للذوق يقوم على الخبرة والدقة والتحرر من التحيز.

وبذلك، يمكن القول إن فلسفته تمثل توازناً دقيقاً بين:

• الذاتية الجمالية

• والمعيارية النقدية

وهو ما يجعلها من أهم الأسس التي قامت عليها الفلسفة الجمالية الحديثة.

انتهى